غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويبطل اعمالهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن
معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء
بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم
الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف الله عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف
على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه
مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية قال والله
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا
فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب صح
كان يوما نائما في المسجد واذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره
فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من
اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على
عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله

[illegible]

الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام
موسى ان ارضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
انه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب
عن الاتيان بمثله معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم
ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته
اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه الآية واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف
حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في
المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي
يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة
ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن
وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها
فصل

Copyright © King Saud University